

المحاضرة الرابعة: الاتجاه الواقعي في الرواية العربية

الدكتورة زهرة خالص

1- في ماهية الواقعية:

تمهيد:

يكثُر الجدل حول "الواقعية" "le réalisme" وأنواعها، فهي من أكثر المصطلحات الأدبية شيوعاً لاتساع مدلولاتها وامتداد الفترة التي عاشت فيها، والواقعية في أبسط مفاهيمها هي إنعكاس لواقع المجتمع، وتصوير لأدق تفاصيله.

الواقعية في الأدب بمعناها العام هي محاولة تهدف إلى تصور الحياة الطبيعية الإنسانية بأوسع معانيها وبأدق أمانة ممكنة، وهي بهذا المعنى ترفض أن ترفع الواقع إلى المستوى المثالي، أو بمعنى آخر ترفض أن تصور الواقع في هيئة المتكامل أو المثالي من أجل أغراض معينة، أهمها تحقيق الجمال أو المحافظة على كمال الأسلوب. ⁽¹⁾ وظهرت الواقعية في فرنسا عام 1830م فنالت رواجاً كبيراً، واحتلت الصدارة بين الاتجاهات الأدبية من عام 1850م-1880م. ⁽²⁾ جل رواد الواقعية من الكتاب الفرنسيين في القرن 19 عشر كانوا ينظرون إلى واقع حياتهم نظرة متشائمة ترى أنّ الشر هو الأصل في الحياة. ⁽³⁾

1-1 الواقعية لغة:

يقصد بالواقعية بأنها وجهة نظر التي يتوافق مع طبيعته المستقلة أو الأشياء المعروفة، أو إدراك للوجود، إذا كان هناك أي شخص يفكر بها أو يدركها.

(1) ينظر : محمد زكي العشماوي، دراسات في النقد الأدبي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، ص77.

(2) ينظر : المرجع نفسه، ص187.

(3) ينظر : المرجع نفسه، ص212.

جاءت لفظة الواقعية من الفعل وَقَعَ، يَفْعُ وَفُوعًا، يقال وقع الشيء من يده معنى سقط. (1)

ولقد اشتهرت وشاعت في العصر المعاصر، الوقائع، الواقع، الواقعي، الواقعة، الواقعية، وتختلف باختلاف النقاد وأدباء الأدب.

1-2 الواقعية اصطلاحاً:

تعرف الواقعية بأنها حركة في الأدب والفن بدأت بالظهور في القرن التاسع عشر ضد الاتفاقيات الشعرية والغريبة الرومانسية، أين سمحت بنوع جديد من الكتابة والذي يقوم المؤلف فيه بتمثيل الواقع، خلال تصور التجارب اليومية للشخصيات المعقدة والمتراطة كما يتم في الحياة الواقعية.

بدأت معالم الواقعية بالظهور منذ عام 1826م إبان الفترة الرومانسية، ولم يكن مصطلح الواقعية قد ظهر بعد، ولم تبرز الواقعية كمدرسة واضحة السمات إلا بعد منتصف القرن التاسع عشر.

أ- وتعني الواقعية في الفلسفة: "ذلك المذهب الذي يقرر وجود العالم الخارجي مستقلاً عن الفكر ويتمثل في فلسفة أرسطو وجميع الفلسفات التي تأثرت بها، غير أنّ الواقعية قد يراد بها معنى معاكساً لهذا المعنى، كما هي الحال في نظرية أفلاطون التي ترمي إلى أنّ العالم الخارجي إن هو إلا إنعكاس للصورة الذهنية أو للمثل الأعلى، وأنّ هذه الصورة أكثر واقعية منه" (2).

وقد تسمى الواقعية في فلسفة أرسطو الواقعية المعرفية، وتسمى الثانية بالواقعية الأفلاطونية أو المنطقية (3).

أما الواقعية في الفن فهي تمثيل الأشياء بأقرب صورة لها في العالم الخارجي (4)، وقد تحولت الواقعية إلى مدرسة متكاملة في القرن التاسع عشر، وكانت وليدة الثورة الصناعية، وتساعد الإهتمام

(1) ينظر: المنجد في اللغة والإعلام، باب الواو، مادة (وقع)، دار المشرف، ط2، بيروت، 2023م، ص913.

(2) مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة الآداب، مكتبة لبنان، ط2، بيروت، 1974م، ص428.

(3) ينظر: سامي خشبة، مصطلحات الفكر الحديث، ج2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006م، ص375.

(4) ينظر: مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة الآداب، ص428.

بأوضاع إجتماعية مزرية ومشكلات سياسية، ونحو منتصف القرن بعد ثورة 1848م قننت الواقعية على يد "شانفلوري" و"دورانتى" في فرنسا وساعدهما الكاتبان: "بلزا" و"فلوير"⁽¹⁾.

خضعت الواقعية لمفاهيم مختلفة، وكثر الخلط والإلتباس عند النقاد والمبدعين سواء أكان في تفسير مدلولاتها أم في توظيفها في الرواية العربية.

فالكثير منهم اعتقد أنّ الواقعية تنحصر في مفهومها العام، وهو تسجيل الواقع، كما هو بكل عاداته وأمكنته وشخصياته البسيطة أو العادية، وهو ما كان يظنه أيضا النقاد الغربيون في بداية ظهور الواقعية من منتصف القرن التاسع وفي مراحل لاحقة لها. ففي البداية كان ميلها سياسيا يتبنى قضايا التحرير السياسي والعدل الإجتماعي، مما جعلها قريبة من الرومانتيكية في عصرها الثوري الأول. وكانت ترفض أي نزعة غنائية أو جمالية، ثم تعلقت الواقعية بتصوير معاناة البسطاء من الناس، ومع رفضها ظهور المؤلف في كتاباته فقد عادت إلى تقديم البعد النفسي للشخصية في الكتابة الإبداعية⁽²⁾.

وفي بداية القرن العشرين "أكد النقاد الفرنسيون أنّ الواقعية الحقيقية هي الواقعية الإنتقالية، التي تهتم بانتقاد الأوضاع الإجتماعية السيئة"⁽³⁾. وكان ذلك بمواجهة الواقعية الإشتراكية، ووصلت إلى ذروتها في سنوات ما قبل الحرب العالمية الثانية، ثم سرعان ما تراجعت إلى مواقف الواقعية الإنتقادية القديمة في أواخر القرن التاسع عشر، حيث تطورت منها نزعات أخرى كالطبيعة⁽⁴⁾، ويرجع الفضل الأول في انتصار الواقعية واستمرارها "لبلزاك" و"فلوير". فالأول أدخل مصطلح البيئة أو الوسط والثاني إعتنى بالمضمون الإجتماعي للأدب، وإن كان قد أفرط بذلك الإهتمام على حساب غيره⁽⁵⁾.

(4) ينظر: سامي خشية، مصطلحات الفكر الحديث، ج 3، ص 375.

(1) ينظر: سامي خشية، مصطلحات الفكر الحديث، ج 3، ص 376.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص 376.

(3) ينظر: المرجع نفسه، ص 376، ص 377.

(4) ينظر: صلاح فضل، منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار عالم المعرفة، القاهرة، 1996، ص 16.

ومن ذلك نستنتج أنّ الواقعية في صورتها النقدية والإشترائية تنبني رؤيتها على انتقاد الأوضاع السيئة في المجتمع.

ب- أما الواقعية الرومانتيكية: فتسمى في النقد الغربي بواقعية "ديكستر" "Dexter" الرومانتيكية، وواقعية "دوستوفسكي" "Dostoivsky" الخيالية، و"لوديج" الشاعرية⁽¹⁾. وتختلف فيها عن الواقعية التسجيلية: فهي تعني الواقعية بمفهومها العام في بداية تقنينها، إذ كانت تعني تسجيل تفاصيل الواقع بكل ما فيه من عادات وأمكنة وشخصيات.

ج- وأخيرا الواقعية الجديدة: حيث انتشر هذا المصطلح مع ظهور السينما، وأول من استخدمه المنظر السينمائي "أمبرتو بارباروا" "Umberto Barbarois" وذلك للتعريف بنزعة "الواقعية الشعرية" التي كانت سائدة في السينما الفرنسية، قبل الحرب العالمية الثانية، وقد انتهت هذه الحركة بسبب ضغوط عنيفة دينية، وسياسية، واجتماعية زلزلت المجتمع الإيطالي، وتختلف هذه الحركة عن "الواقعية الجديدة الفرنسية" في أنّ الثانية تصف أعمال "موجة" من الفنانين التشكيليين صنعوا لوحاتهم من بقايا الآلات والخردة بأسلوب "التجميع"⁽²⁾.

ويشبه إلى حدّ ما تلك الواقعية الجديدة، الواقعية السحرية حيث ارتبطت في نشأتها الأولى بفن التصوير إبان عشرينيات القرن العشرين، ثم استعادها النقد الأدبي الغربي في الستينيات في وصف تيار الرواية والقصة الجديدة، وتعني الجمع بين عناصر تنتمي إلى العالم الواقعي الحسي، وعناصر تنتمي إلى عالم الخيال الذهني. وفي الرواية الحديثة في الغرب إنتهى كتاب أمريكا اللاتينية منذ الأربعينيات إلى أهمية العناصر (من خرافات، وأساطير، ومعتقدات شائعة... إلخ) في تكوين تصور شعوبهم عن واقعها وعن العالم. وفي العالم العربي يمكن الرجوع بأصول "الواقعية السحرية" "Le réalisme Magique"

(5) ينظر: صلاح فضل، منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، ص 21.

(1) ينظر: سامي خشبة، مصطلحات الفكر الحديث، ص 378، ص 379.

إلى المأثور الشعبي، وحكايات ألف ليلة وليلة. وقد فتح هذا الباب للواقعية السحرية عند العرب "نجيب محفوظ" عام 1959م في روايته "أولاد حارتنا"⁽¹⁾.

وعليه، يمكن حصر آليات الواقعية في الرواية حصراً متكاملًا يجمع أهم خصائص الواقعية من كبار منظريها مثل: بلزاك، وفلوبير، فنقول: إنها تعني تصوير عادات المجتمع وتقاليده، مع الغوص في أعماق النفس البشرية، والإهتمام بعنصري المراقبة والوصف دون إهمال الخيال، ليؤدي في العمل قدراً متوازناً من الموضوعية والذاتية، ويحمل قيماً إنسانية وهدفاً أخلاقياً، دون إغفال الرمز لتحقيق الرواية أيضاً أهدافها الجمالية⁽²⁾.

2- الواقعية عند الغربيين:

نشأت الواقعية الغربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كردّ فعل على الرومانسية التي أفرطت في الخيال، والأوهام، والأحلام، والانطواء على الذات والهروب من الواقع الاجتماعي، والانزواء في الأبراج العاجية وانصرفت عن معالجة شجون الإنسان جزّاء صراعه اليومي في مجتمعه الصاخب، فجاءت الواقعية احتجاجاً على الرومانسية من ناحية الموضوع في حين جاءت كلّ من البرناسية والرمزية ردّاً عليها من الوجهة الشكلية والجمالية.

ومما دعا إلى نشوء واقعية التقدم العلميّ والإنجازات العلمية الهائلة لاسيما في البيولوجيا، وعلم الطبيعة والوراثة، وفي الدراسات الإنسانية والاجتماعية والفلسفية، إضافة إلى تزايد الاهتمام بالطبقات الاجتماعية المختلفة بما فيها الوسطى والفقيرة والمهملة، وعدم الاقتصار على النبلاء والبرجوازيين.

2-2 رواد المدرسة الواقعية عند الغربيين:

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص 379، ص 381.

(3) ينظر: محبة معتوق، أثر الرواية الواقعية الغربية في الرواية العربية، دار الفكر اللبناني، ط1، بيروت، 1994م، ص 16، ص 28.

اعتمدت المدرسة الواقعية على مختلف الفنون والعلوم بشكل أساسي على المنطق الموضوعي، وتصوير الحياة الواقعية كما هي تماما، دون أية زيادة أو نقصان، وصمم رواد المدرسة الواقعية على معالجة الواقع لأنهم أدركوا ضرورة تلك الحتمية، حتى يتمكنوا من نقل الواقع كما هو، ويتقبله الجمهور، وكان للمدرسة الواقعية عند الغرب العديد من الرواد البارزين وهم: ("أنوريه دي بلزاك"، "جوستاف كوربيه"، "جان فرانسوا ميليه"، "جي دي موباسان"، "إميل زولا"، "دورانتى").

وإذا التمسنا لدى النقاد الغربيين التقليديين تحديدا نظريا عميقا لمعالم الواقعية، وجدنا قصورا بينا في تصورهم لها، ومحاولة ذاتية لحصرها في إطار زمني لا تتعداه، ومع ذلك فلا يمكننا إدراك أبعاد الرؤية الغربية الواقعية بدون أن نقف عند تلك التحديدات النظرية، ونشير إلى وجوه الضعف فيها التي ربما كانت تعود في أساسها إلى الصراع الإيديولوجي للعالم المعاصر منقولاً إلى المستوى الجمالي.⁽¹⁾

يقول مؤرخ النقد الغربي "رينيه ويليك" أنه طبقا لتعريف الواقعية فإنها تحمل في ثناياها نزعة تعليمية، وبالرغم من أنّ التمثيل الكامل الأمين للواقع يستبعد نظريا أي هدف دعائي أو اجتماعي إلا أنّ هذا التناقض - في زعمه - يعتبر مشكلة الواقعية الكبرى من الوجهة النظرية، إذا اقتصرنا على ملاحظة تاريخ الأدب أدركنا أنّ مجرد التغيير إلى وصف الواقع الاجتماعي المعاصر يعني تقديم درس إنساني، وأنّ النقد الاجتماعي المعاصر يعني دعوة للإصلاح ورفضاً للمجتمع الموصوف، فهناك توتر دائم بين الوصف والتقييم وبين الصدق والتعليم، ويتجلى هذا التناقض - في رأيه - من خلال "المصطلح الروسي" للواقعية الاشتراكية، إذ أنّه على الكاتب أن يصف المجتمع كما هو، وفي نفس الوقت لا بد له من أن يصفه كما ينبغي أن يكون.⁽²⁾

ولاستكمال الصورة الواقعية النقدية الغربية يجدر بنا أن نستعرض آراء بعض المفكرين الاشتراكيين حولها كي نتضح لنا معالمها من خلال الظلال التي يحرصون على إبرازها، كما أنّنا عند عرض الواقعية

(1) ينظر: صلاح فضل، منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1980م، ص32.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص45.

الاشتراكية سوف لا ندخر جهدا في تقييمها من وجهة النظر الغربية، وبهذا نستطيع أن تكون فكرة نقدية موضوعية أقرب ما تكون إلى الصواب وأبعد عن الحماس المذهبي الذي كان كثيرا ما ينزلق إلى الشطط والتحيز، ولعل الكاتب الحججة في هذا الصدد إن لم يكن أكبر ناقد أدبي فلسفي في العصر الحديث هو "جورج لوكاتش" الذي لم يكن على وفاق دائم مع الخط السوفيتي الرسمي، بل عرف دائما بتحرره الفكري الخصب، وقد أوجز لوكاتش المظاهر الأساسية لسلبية الواقعية الغربية ابتداءً من منتصف القرن الماضي فيما يلي:

- اختفاء حركة التطور الاجتماعي الدرامية الملحمية من الأعمال الأدبية لتحل محلها المصالح الخاصة والشخصيات المحرومة من العلاقات الفنية والتي تقتصر على الملامح العامة الباهتة، مما يصيغها في إطار قد وصف بدكاء شديد لكنه ظل خاليا من نبض الحياة.

- أخذت العلاقات الواقعية المتبادلة بين الأشخاص وأساسها الاجتماعي الذي يجهلونه هم أنفسهم، وحتى أعمالهم وأفكارهم ومشاعرهم أخذ كل هذا في التناقض التدريجي بحيث أصبحت كل يوم أشد فقرا من سابقه مما حدا بالكتاب إلى سلوك أخذ طريقتين: إما إبراز هذا الفقر في الحياة بسخرية ممرورة، وأما إلى البحث عن بديل لهذه العلاقات الاجتماعية والإنسانية والمتمثل في رموز ميتة أو مبالغ فيها بطريقة غنائية.

- وهذا وثيق الارتباط بما سبق، أصبح وصف الملاحظات الدقيقة المميزة وعرضها بدكاء تفصيلي ولف يكاد يستغرق الآثار الأدبية ويشغل الحيز الذي كان مخصصا عند الصميم الفني المتوازن لمعالم الواقع الاجتماعي الجوهري، وللتغيرات الديناميكية الفعالة التي كانت تحمل رسالتها الشخصية الإنسانية المصورة. (1)

وعلى ذلك يمكن تصور حاضر الواقعية الغربية على أساس ما كتبه "أندرية مالرو" تعليقا على دعوى "بلزاك" بأن قصصه تنافس السجل المدني في رصدها الأمين للواقع، إذ يقول: «أنّ الصور

(1) ينظر: صلاح فضل، منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، ص 53.

الفوتوغرافية ويمكن أن نضيف إليها التسجيلات الصوتية - هي التي تقوم الآن بفعالية بهذه المنافسة، وأن القصاص اليوم يفضل منافسة الرسام التعبيري الذي اعتاد اختراع التصوير الفوتوغرافي من المحاكاة العرضية». (1)

ومع أن الواقعية بالمفهوم الغربي في صراع دائم مع الآراء والمعتقدات المسبقة إلا أنها لا يمكن أن نستغني عنها، وإن كانت لا تزدهر في رأي كثير من النقاد إلا من خلال ما يسمى بالمؤسسات التي لا تحول دون التطور ولا تحرم التجارب، ولا تبغى صياغة الحياة والفكر في قوالب جامدة عاتية. (2)

3- الواقعية عند العرب:

والحديث عن الواقعية عند العرب أي في الأدب العربي يسوقنا إلى الحديث عن الأدب الجزائري، وذلك لوجود عوامل مشتركة بين الأقطار العربية ككل هذا إلى جانب بعض الأمور التي هي من خصوصيات كل مجتمع فنظرًا للظروف التي ميزت الجانب الثقافي، في محاولات المسخ والتغريب وطمس الهوية الوطنية وإشكالية الازدواج اللغوي باعتباره اللغة مادة الأديب التشكيلية، كل هذا كان له الأثر في تشكيل طابع الأدب. (3)

بدأ المذهب بالتأصيل الواقعي إثر ظهور رواية "مليم الأكبر" لعادل كامل"، حيث بدأ الاتجاه الواقعي ينتج آثار قوية وناضجة في الرواية التاريخية، وهذا ما نجده عند "نجيب محفوظ" و"محمد عوض". (4)

(1) صلاح فضل، منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، ص 53.

(2) ينظر: صلاح فضل، منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، الصفحة نفسها.

(3) ينظر: أبو قاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، ط 5، الجزائر، 2007م، ص 95.

(4) ينظر: طه وادي، مدخل إلى التاريخ الرواية المصرية، كلية الأدب جامعة القاهرة، دار النشر للجامعات، ط 2، مصر، 1997م، ص 53.

وتواصل الرواية الواقعية مسيرتها فنجد نجيب محفوظ رائداً في عدّة روايات أهمها "زاد ويدس" "عبث الأقدار"، وكذلك "كفاح طيبة"، ورواية "زقاق المدق"، و"حان الخليلي". (1)

لعل التصدي لأعمال "نجيب محفوظ" الروائية القصصية وإعادة اكتشاف ما تكتفيه عملية الصياغة الفنية بها، وخلال قراءة تأويلية التي كانت صدى لتأثيرات على بعض معاصريه، فقد عالج نفس الموضوع بأساليب لها خصوصياتها في رواية شهيرة 1959م، ومحمد جلال روايته "حارة الطيب" 1961م. (2)

وعليه فروايات نجيب محفوظ باختلاف الأنماط النوعية والفكرية تصب عن تاريخ مصر منذ احتلال الانجليز لها إلى قيام سياسة التعايش والتطبيع مع إسرائيل، لكن هذا الجنس الروائي لم يتوقف عن الحدود المصرية بل تعدى ذلك، وجاب كل أقطار الوطن العربي فنجد مثلاً في السعودية الكاتب "يوسف مجيد" الذي تناول جدلية العلاقة بين صيغة الذات ولب الواقع والبحث عن الذات الضائعة. (3)

أمّا في سوريا فنجد صاحب الروايات السياسية التي تعتبر نوعاً ما من أنواع الروايات الواقعية التي يقول عنها: «إذا كان لي كلمة يمكن أن أقولها فهي أنني جئت إلى عالم الرواية من حيث لم يتوقع أحد من عالم السياسة فهما وجهان لعملة واحدة أو هكذا يجب أن يكون». (4)

4- خصائص الرواية الواقعية:

تتمثل خصائص الروايات الواقعية، فيما يلي:

- الابتعاد عن التكلف في التعبير، وعن استخدامات الرمز الغامضة.

(1) ينظر: طه وادي، مدخل إلى التاريخ الرواية المصرية، ص53.

(2) ينظر: شوقي بدر يوسف غواية، الرواية دراسات في الرواية العربية، مؤسسة موريس الدولية، ط1، الإسكندرية، ص10.

(3) ينظر: المرجع نفسه، ص24.

(3) المرجع نفسه، ص24.

-الاستناد إلى الواقع في بناء ملامح الشخصية الروائية، والتعريف بها وبانتماءاتها، مع الإفصاح عن هويتها سواء أكانت هذه الشخصيات افتراضية أم مرجعية لها وجودها السابق عن النص وتحيل على عالم خارجي محقق ماديا ومعروف تاريخيا، وفي الحالتين تقرر الرواية الواقعية بالربط الدائم للنص وشخصياته بالواقع الذي تنطلق منه في عملية الكتابة وتعود إليه.

-تقديم خصائص الفترة الزمنية المخيلة بتفاصيلها الواقعية المميزة لها.

-التركيز على وصف الأماكن بدقة.

-اللجوء إلى استخدام العامية في الحوار، أو في بعض المواضع النصية الأخرى التي من شأنها وضع القارئ داخل عوالم نصية ذات علاقة وطيدة بالواقع المعاش.

-استخدام لغة تتساوى ومستوى الشخصيات.

-تبرير الأفعال التي تقوم بها الشخصيات داخل النص الروائي.

-البناء المنطقي للأحداث باعتماد نظام سببي تراثي لا يخالف العقل، وذلك بعيدا عن أي خارق ينأى بالقارئ بعيدا عن عالمه الحقيقي.

- تصوير الحياة اليومية بجانبها المظلم والمنير من أجل توصيف الواقع.

-الاهتمام باليومي، وبالطبقات الشعبية المقهورة.

5- مفهوم الواقع :

1-5 لغة :

ورد في قاموس المحيط «وَقَعَ يَقَعُ بفتحهما وُقُوعًا سقط ووقع القول عليهم وجب ووقع ثبت ووقع ربيع الأرض حصل». (1)

وفي قوله تعالى: ﴿سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [سورة المعارج الآية 1]، نازل كانت على من ينزل ولمن ذلك العذاب، أي واقع بمعنى نازل.

الواقع: من وقع الطائر ويقال النسر الواقع يراد أنه قد ضم جناحيه وكأنه واقع بالأرض. ويقال وقع الشيء ثبت كأن يقول: «وقع القول عليه معنى وجب وثرث». (2)

أما في الاستخدام المجازي فوقع بمعنى الحصول على شيء، وثبوته كالقول: «وقع الحق أي ثبت ووقع في الشك تحصل فيه». (3)

5-2 الواقع اصطلاحاً:

يعتبر مصطلح الواقع من المصطلحات التي يمكن استخدامها بأشكال شتى، إلا أنّها في نظر الكثيرين تشمل كلمة الحقيقة التي تجعل الجميع متفقين. (4)

الحقيقة هي كلّ شيء يمكن تصديقه فهي الرسم الصحيح للأشياء. الأمر الذي يذكرنا بحذر الواقع اللغوي المشتق من كلمة اللاتينية التي تفيد "شيء"، وبالتالي فإنّ المعنى نشأ من اللجوء إلى الحقيقة الواضحة في العالم الخارجي. (5)

(1) قاموس المحيط، ط1، ص772.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 1982م، ص134.

(3) ابن منظور، لسان العرب، مج08، دار صادر النشر، ط1، بيروت، ص402.

(4) ينظر: عبد الواحد لؤلؤة، موسوعة المصطلح النقدي، مج3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 1983م، ص53.

(5) ينظر: المرجع نفسه، ص78.

كما أورد عبد العاطي شلبي تعريفًا للواقعية بقوله: «إنّ اللغة العربية لا تعرف لفظا اضطربت دلالاته وتنوعت مفاهيمه مثل لفظ (رياليزم) بسبب أصلها الاشتقاقي، هو "واقع" فأحيانا أتفهم من الأدباء كتاباتهم في الأدب الواقعي، ويقصدون به الأدب الذي يصف حياة الفرد والجماعة»⁽¹⁾.

5-3 الفرق بين الواقع والواقعية :

يرى العديد من النقاد والباحثين أنّ الواقعية هي انعكاس للواقع، ومفهوم الانعكاس المقصود هنا هو أن الواقعية حصيلة انعكاس الواقع كما هو في الظاهرة، وإنّما الواقع بما يخلقه من آثار على نفس الكاتب، ذلك من منطلق أنّ الحديث يترك دائما بالإضافة إلى تفاصيله الظاهرة شيئًا آخر محسوس في النفس البشرية. فهي هنا ليست بالتصوير الدقيق للواقع المحيط بالمبدع الذي يمثل عالمه الخارجي، لهذا يسعى الأديب أن يستمد مادته الأولية من واقع الحياة من حوله. فإنّ هذا الواقع يتحول في الإبداع الأدبي إلى واقع متميز من الواقع الأصلي وذلك أنّ الأديب لا يقصد إلا بتصوير الواقع كما في حقيقته تصويرًا آليا ولكنّه يقصد إلى خلق الواقع الفني من خلال الواقع الطبيعي. فالأديب هنا يسعى إلى إعادة صياغة واقعه صياغة جديدة حسب طموحه انطلاقًا من واقعه الحقيقي إلى الواقع، فشده لهذا اعتبر الأدب الواقعي أدب قومي جماعي إنساني.

6- صورة الواقع في الرواية الجزائرية :

حرصت الرواية العربية عموما والجزائرية خصوصا إلى تبيان علاقتها مع الواقعية، وعلاقة الأدباء بالواقع الجزائري. واستعانوا بالواقع السياسي والتاريخي، واستعانوا بالأزمات السياسية والاجتماعية والاقتصادية في البلاد ونظريات فلسفية، فإنّها ركزت على بعض الفلاسفة منهم أفلاطون وأرسطو وجون لوكاتش والعشوية السوداء التي أطاحت في البلاد الجزائرية.

(1) عبد العاطي شلبي، فنون الأدب الحديث، الإسكندرية، 2005م، ص48.

إنّ الرواية الجزائرية لم تنشأ من العدم، وإتّما هي ذات تقاليد فنية فكرية كما أنّها ذات صلة تأثيرية بشيوع مصطلح الواقعية. ولعل أهم ما يميز الرواية الجزائرية ارتباطها الوثيق بالواقع، فهو الموضوع الأساسي إن لم يكن الأوحدهو واقع المجتمع وواقع الإنسانية كلّها، ويتجسد في حياة الإنسان في بيئة معينة وفي وضعه الاجتماعي بما يطبعه من بؤس ورجاء وعلاقته بالإنسان، والأرض وموقعه من الأنظمة والقوانين الدينية، والسياسية، والاجتماعية والاقتصادية، وأخيرا في مشاعره وأحاسيسه وعواطفه، إنّه واقع واسع يشمل الوجود الإنساني في مجتمع معين.⁽¹⁾

بالحديث عن الواقع الجزائري نلاحظ أنّه يتكئ على الواقع المعيشي سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، وأهم جانب يلتقي إليه الأديب الواقعي حسب "محمد مصايف" هو الجانب الاجتماعي، و عناية كبيرة بالصراع الطبقي وتحديد الأزمان الاجتماعية وأسبابها، وأهم أثارها وبهذا يكون شاهداً على الواقع الذي يعيش فيه.⁽²⁾

ويستمر القلم الجزائري حبره على أوراق المشكلات الاجتماعية وكذلك السياسة ومختلف الميادين الحياتية في المجتمع الجزائري، فإظهار البصمات على غلاف الرواية الجزائرية الواقعية كفيلة بخلق كتابات روائية متقدمة لدى الكثير من الشباب الجادين، الذي كانت بدايتهم بكتابة القصة القصيرة ثم «أتجهوا مؤخرا نحو الرواية كنتيجة لتطور مواهبهم وتصوراتهم الفكرية وذلك لتجسيد الواقع فنيا وبكل ما يحمل هذا الواقع من تناقضات طبيعية يعني إعادة إنتاجه وفقاً لحدود وعي اجتماعي معين».⁽³⁾

فالروائي لما يكتب فهو يرسم واقعاً متجددا في الوقت نفسه، يرسم لنفسه حدود الوعي الواقعي مشيراً بذلك إلى وعيه الروائي و«كثيراً من الروائيين الجزائريين حذوا حذو الطاهر وطار في كتابة الرواية فمثلا واسيني الأعرج ومن خلال رواياته وهي: "أوجاع عامر صوب البحر" 1983م و"مصرع أحلام

(1) ينظر : محمد مصايف، النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط4، الجزائر، ص290.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص291.

(3) - المرجع نفسه، ص484.

مریم الودیعة"1984م، وضمیر الغائب: الشاهد الأخير على اغتيال مدى البحر 1989م، وتبعهم في درهم صاحب رواية زمن النصر 1985م الحبيب الأخضر السائحي». (1)

وقد ارتبطت جذور هذا التبلور للمفاهيم القومية: ووضوح المبادئ السلمية أو الثورية، باندلاع الثورة التحريرية التي ساهمت ببلورة مفهوم الأدب ولدفعه شكلاً ومضموناً إلى المقاومة، بحيث أصبح الأدباء ألسنة لشعبهم لواقع مجتمعهم يعبرون عنه أكثر مما يعبرون عن أنفسهم، ويصورون حياة الشعب أكثر مما يصورون حياتهم فصار بذلك الأدب مرآة لواقع هذا الشعب. وبذلك فالأدب هو حديث شعبي متصل دائماً بالحياة الواقعية وحسبياً في هذا الأديب المعاصر (ميخائيل شولوكوف) في قوله: «إنّ كل واحد منا يكتب ما يملیه علیه قلبه وقلوبنا مع حزیننا وشعبنا الذي نخدمه بفننا وأدبنا». (2)

وكلّ الانتصارات الثورية التي يحققها الشعب تظل انتصارات سياسية إنّ لم یمكن لها الأدباء، ويعملون على سوغها بمواهبهم في النفوس، فيحولونها بذلك بأدابهم واقعا نفسياً في المجتمع وقضية راجحة فإنّ « الأدب والفن كليهما من حق الشعب، یختصان به وينبغي أن تمتد جذورهما عمیقاً في صلب الجماهير الكادحة، كما ينبغي أن تستسیغه الجماهير وأن تتذوقه وترضاه». (3)

أي أنّ معطيات وجزئیات الواقع بمختلف مستوياته تمثل موضوعاً حقیقياً للواقعية وأنّ لكل فنّان رؤيته الخاصة واتجاهه الأسلوبي الذي یتمیز نظرتة الفنية في استيعابه لمعطيات هذا الواقع.

-قائمة المصادر والمراجع:

-الكتب:

(1) بوشوشة بن جمعة، مراجع الكتابة الروائية في المغرب العربي، مجلة التبيين ثقافة إبداعية تصدر عن الجاحظية الجزائر، ع11، 1997م، ص22.

(2) حلمي مرزوق الرومانسية الواقعية النقدية الواقعة الاشتراكية أصولها الفنية والفلسفية والإيديولوجية، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، ص137.

(3) المرجع نفسه، ص136.

1. محمد زكي العشماوي، دراسات في النقد الأدبي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر.
2. صلاح فضل، منهج الواقعية في الإبداع، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1970م.
3. سعيد الورقي، اتجاهات الرواية العربية المعاصرة، دار المعرفة الجامعية، 1998م.
4. سامي خشبة، مصطلحات الفكر الحديث، ج 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006م.
5. صلاح فضل، منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار عالم المعرفة، القاهرة، 1996.
7. محبة معتوق، أثر الرواية الواقعية الغربية في الرواية العربية، دار الفكر اللبناني، ط1، بيروت، 1994م.
8. طه وادي، مدخل إلى التاريخ الرواية المصرية، كلية الأدب جامعة القاهرة، دار النشر للجامعات، ط2، مصر، 1997م.
9. شوقي بدر يوسف غواية، دراسات في الرواية العربية، مؤسسة مورييس الدولية، ط1، الإسكندرية.
11. عبد العاطي شلبي، فنون الأدب الحديث، الإسكندرية، 2005م.
12. رفيق رضا صيداوي، الرواية العربية بين الواقع والمتخيل، دار العربي، ط1، بيروت، لبنان، 2008م.
14. محمد مصايف، النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط4، الجزائر.

-القواميس:

1. عبد ، موسوعة المصطلح النقدي، مج3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 1983م.
2. ابن ر، لسان العرب، مج08، دار صادر النشر، ط1، بيروت.
3. معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 1982م.
4. مجدي وهبة، معجم المصطلحات العربية في اللغة الآداب.
5. مجدي وهبة، كامل العربية في اللغة الآداب، مكتبة لبنان، ط2، بيروت ، 1974م.
6. المنجد في اللغة والإعلام، دار المشرف، ط2، بيروت، 2023م.